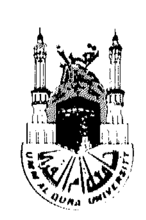
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

طب الإسكندرية

لأبي العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن جميع

المتوفى سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م)

دراسة وتحقيق

الدكتور
مريزن سعيد عسيري
أستاذ مشارك بقسم الحضارة
والنظم الإسلامية بجامعة أم القرى

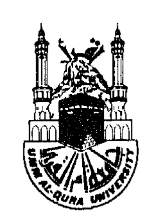
الدكتور
سعد عبد الله البشري
أستاذ مشارك بقسم التاريخ الإسلامي
بجامعة أم القرى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المملكة العربيـــــة السعوديـة
وزارة التعـــليم العـالي
جـامعة أم القـرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز البحوث وإحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

كتب عربي
(شـراء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل ٦١١٢٤

طب الإسكندرية

لأبي العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن جميع
المتوفى سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٨ م)

دراسة وتحقيق

الدكتور
مريزن سعيد عسيري
أستاذ مشارك بقسم الحضارة والنظم الإسلامية
بجامعة أم القرى

الدكتور
سعد عبد الله البشري
أستاذ مشارك بقسم التاريخ الإسلامي
بجامعة أم القرى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ⓒ جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

ابن جميع ، هبة الله بن زين بن حسن

طبع الإسكندرية / دراسة وتحقيق مريزن سعيد عسيري ، سعد عبدالله البشري . ـ مكة المكرمة .

١٢٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٢ ـ ١٩٤ ـ ٣ ـ ٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الإسكندرية ـ تاريخ ٢ ـ الإسكندرية ـ الأحوال الإجتماعية

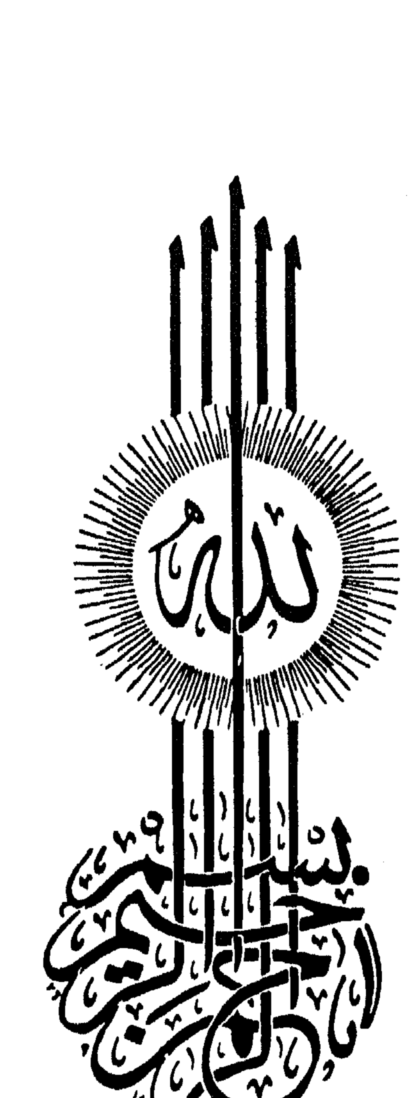
أ ـ عسيري ، مريزن سعيد (محقق) ب ـ البشري ، سعد عبد الله ج ـ العنوان

ديوي ٩٦٢,١١ ١٧ / ٢٧٧٤

رقم الإيداع : ١٧ / ٢٧٧٤ .

ردمك ٢ ـ ١٩٤ ـ ٠٣ ـ ٩٩٦٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى اصحابه الكرام وعلى من اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد ....

إن موضوع "الاهوية والامكنة والمياه" وارتباطها بما اسماه مؤلف هذه الرسالة "بالتدبير" وهو كيفيه التعامل مع الاغذية والاشربه، والحركة والسكون،والنوم واليقظة ،والاستفراغ ، والاحتقان ، والاعراض النفسانية ، وارتباط ذلك كله بالثقافة الصحية، يعد من أهم القضايا الطبية التى تشغل بال الاطباء ، والمراكز والمعاهد الطبية المتخصصة بالغذاء في هذا العصر، ذلك أنه لاتزال الابحاث الخاصة بالغذاء تكتشف كل يوم الجديد في العلاقة بين أنواع الأغذية المختلفة وبين العديد من الأمراض ، حتى تلك الامراض التى يعتقد إلا علاقة بينها وبين الغذاء .

وفي العصور الاسلامية المتتابعة انتدب مجموعة من الأطباء وهم قلة أنفسهم لدراسة مثل هذا النوع من الموضوعات ، ومن ضمن هؤلاء الأطباء هبة الله بن زين بن جميع المصري في رسالته هذه عن "طبع الاسكندرية وحال هوائها ونحو ذلك من أحوالها" وترتبط دراسة هذه الرسالة إلى حد كبير "بالجغرافيا الطبيه" ، على أن المؤلف ادخل في ذلك دراسات أخرى متفرعة ترتبط بالعلاقة بين الانسان وبيئته عامة في العادات والاعراف الغذائية والحياتية وعلاقتها بالناحية الصحية والامراض .

والواقع ان هذه الدراسة التى قدمها المؤلف في رسالته تعد من الدراسات المهمة جداً في تاريخ الطب الاسلامي للاسباب التالية :

١-انها تجمع عدة موضوعات ودراسات متفرعة "الهواء، المياة، المكان" دراستهافي حد ذاتها جغرافياً وطبيعياً ، علاقتها بحياة الانسان، وعلاقة ذلك كله بالناحية الصحية .

٢- أن عمله في هذه الرسالة بني في أغلبه على دراسة عملية ميدانية، فقد زار الاسكندرية وبقي فيها فترة من الزمن كافية لدراسة أحوالهاواحوال أهلها عن كثب ، عرف حياتهم كاملة وباشر تطبيبهم ، وبنىعمله الطبى على معرفة جميع أحوالهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣- قدم معلومات مهمة عن مدينة الاسكندرية في عصره "العصر الأيوبي" ترتبط بجغرافيتها،واحوال أهلها الاجتماعية والأقتصادية والدينية ، وهو الموضوع الذي لايتيسر الحصول عليه بسهولة فيما يختص بالكثير من اصقاع العالم الاسلامي ومدنه.

ونظراً لهذه الاهمية التى حوت عليها هذه الدراسة ذات العلاقة بتاريخ الحركة العلمية في الدولة الاسلامية وهو الميدان العلمي للمحققين ، كانت الرغبة كبيرة والعزيمة وافرة لتحقيق هذه الرسالة لتكون في متناول أيدي الباحثين والدارسين المهتمين بمثل هذا النوع من الدراسات .

ولقد قُسّمتْ هذه الدراسة إلى قسمين :

القسم الأول : ويشتمل على فصلين .

خصص الفصل الأول للحديث عن مؤلف الرسالة حياته ، عصره ،تكوينه العلمى، شخصيته العلمية .

أما الفصل الثاني فكان الحديث فيه عن رسالة طبع الاسكندرية بشكل عام واشتمل على : صفة الرسالة وتحقيق نسبتها ، المصادر التى اعتمد عليها المؤلف في تأليف رسالته ، أهمية طبع الاسكندرية ، والمنهج المتبع في تحقيق هذه الرسالة .

القسم الثاني : خصص لنشر النص وتحقيقه .

وبعد فهذه رسالة "طبع الاسكندرية" نقدمها للعلماء والباحثين وطلاب العلم ، سائلين الله أن نكون قد وفقنا فيما رمينا إليه ، من بذل الجهد وشدة العناية ، والضبط وحسن التقويم ، راجين التجاوز عما قد نقع فيه من هنات ، سائلين المولى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم هو حسبنا ونعم الوكيل .

المحققان
د/مريزن سعيد عسيري
د/ سعد عبدا لله البشري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القســم الأول

الدراســة

القســـم الأول

الـدراســـة

الفـــصـل الأول

دراسة عامة عن المؤلف

يحسن بنا قبل الحديث عن ترجمة المؤلف أن نشير إلى قلة من كتب عنه من المؤرخين ، فمن المؤسف أن هذا الطبيب اللامع لانجد من ترجم له بشيء من الوضوح سوى مؤرخ العلوم الفذ ابن أبي أصيبعه (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩ م) في كتابه (عيون الأنباء)، وهناك شذرات قليلة ونزرة نجدها في بعض المصادر التاريخية التالية لعيون الأنباء ولكنها اعتمدت ايضاً على الكتاب نفسه، ولهذا فسوف نعتمد في جانب من ترجمته على استقراء بعض النصوص التي تضمنتها رسالته التي نقدمها للقاريءإلى جانب بعض رسائله وكتاباته التي لاتزال مخطوطة.

اسم المؤلف ولقبه وكنيته ونسبه :-

هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن إسماعيل بن جميع الإسرائيلي[١] . ويذكر ابن قاضي شهبه أن اسم والده زيد وليس زين [٢]، وقد أخذ بهذا خير الدين الزركلي في كتابه القيّم (الأعلام)[٣] وذكر أنه أوثق مما أورده ابن أبي أصيبعة ، ويرى الباحث أن ماأورده ابن أبي أصيبعة هو أوثق مما أورده ابن قاضي شهبة، وذلك لأن ابن أبي أصيبعة أقرب زمنياً إلى عصر ابن جميع ، إذ أن ابن أبي أصيبعة نفسه ولد بعد وفاة ابن جميع ببضع سنوات ، وعاصر تلامذته كما أن الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ أورد ما ذكرناه[٤] بخلاف ابن قاضي شهبه الذي توفي بعد منتصف القرن التاسع الهجري ، وعليه فرواية ابن أبي أصيبعة أكثر صحة ، هذا بالإضافة إلى أن ما أورده ابن أبي أصيبعة نجده في مقدمة رسالة ابن جميع عن "طبع الاسكندرية" .

وفيما يتصل بولادتة فلم تمدنا المصادر التي أرخت لابن جميع بتاريخ

---

(١) ابن أبي أصيبعه : عيون الأنباء / ٥٧٠.

(٢) الإعلام بتاريخ الإسلام (مخطوط) وفيات العشر الأخيره من المئة السادسة نقلاً عن الزركلي ج٨/٧٢، إذا لم يتيسر الاطلاع على المخطوط .

(٣) ج٨، ص ٧٢.

(٤) الوافي بالوفيات الجزء المشتمل على حرف الهاء . وهو مخطوط مصور على الورق بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى عن النسخة المخطوطة بمكتبة أحمد الثالث رقم ١٧/٢٩٢٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولادته وكل الذي توفر لنا في هذا الجانب أن ولادته ونشأته كانت بالفسطاط(١)، ومن المرجح أن ولادته كانت في الربع الأول من القرن السادس الهجري ، يدل على ذلك أخذه العلم على يد أستاذه الطبيب موفق الدين عدنان ابن العين زربي ، وكان هذا قد اشتهر بالطب في مصر في النصف الأول من القرن السادس الهجري ووفاته سنة٥٤٨هـ /١١٥٣م ، فتتلمذ عليه عدد كبير من طلبة العلم ومنهم : ابن جميع(٢)، ومن الطبيعى أن تكون سن التعلم ودراسة الطب في حدود العشرين من العمر فإذا افترضنا أنه تلقى العلم على يد أستاذه المذكور في أواخر حياته،فان مولده . قريب مما ذهبنا إليه ، وهو الربع الأول من القرن السادس الهجري .

عصره :

أ- الحياة السياسية :-

عاش ابن جميع حياته كلها في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، وكان موطنه مصر متنقلاً بين مدنها ، وخاصة مدينة الفساط مسقط رأسه ، ثم مدينة القاهرة حاضرة الفاطميين ، وكان له تردد على مدينة الإسكندرية ، ولكي نوضح ولو بصورة عامة أحوال عصره يجدر بنا أن نلم بالأوضاع السياسية السائدة في مصر فى تلك الفترة ، فمن المعروف تاريخياً أن الدولة الفاطمية التي أنشأها عبيدا لله المهدي في افريقية سنة٢٩٧هـ/٩٠٩م تمكنت بعد ذلك من مد سلطانها شرقاً وغرباً ، ونجح أحفاد المهدي في بسط سلطانهم على مصر ، وذلك في عهد المعز لدين ا لله الفاطمي سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م الذي أصبح أول الخلفاء الفاطميين في مصر على إثر دخوله مدينة القاهرة سنة ٣٦٢/٩٧٢م ، وامتد نفوذ الفاطميين بعد ذلك إلى الشام والحجاز، بل ولفترة وجيزة إلى بغداد عاصمة العباسيين وتعاقب على حكم مصر بعد المعز عدد من الخلفاء .

ويهمنا في هذا العرض الموجز للأحوال السياسية ما يتصل بالفترة التي عاشها

(١) أنشأها عمرو بن العاص بعد أن تم له فتح مصر سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م وهو الموضع الذي أقام فيه المسلمون أثناء محاصرتهم لحصن بابليون وقد أنزل عمرو فيه قبائل العرب بعد اتمامه فتح الإسكندرية . انظر ياقوت، معجم البلدان ج٤/٢٦١ومابعدها – على إبراهيم حسن ، مصرفى العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني / ٤١٤ومابعدها .

(٢) أنظر ابن أبي أصيبعة . عيون الأنباء /٥٧٠– مؤلف مجهول: انسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوط) / ٢٤٧. المخطوط مرقم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبيب ابن جميع فإذا سلمنا بان ولادته كانت في العقد الثالث من القرن السادس الهجري فإن هذا يكون معاصراً لاواخر عهد الآمر باحكام ا لله الذي حكم بين سنتي ٤٩٥هـ - ٥٢٤هـ / ١١٠١-١١٢٩م ، وخلف الآمر على العرش ابن عمه عبد المجيد الذي تلقب بالحافظ وشهد حكمه صراع بين عدد من الوزراء وعلى عهده اصيبت مصر بالوباء وغلت الاسعار ، وعقب وفاة الحافظ سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م خلفه ابنه الظاهر ليحكم خمس سنين ثم خلفه ابنه الفائز واستمر في حكمه إلى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م ليخلفه العاضد لدين ا لله ، ويمكن أن نقول ان القاسم المشترك - ان صح التعبير - بين هؤلاء الخلفاء كان تميزهم بالضعف وغلبة الوزراء على الأمر واحتدام الصراع بينهم على تولي الوزارة وكان ابرزهم شاور السعدي الذي استنجد بالزنكيين الذين تمكنوا في حملتهم الأخيرة على مصر من دخول القاهرة على اثر استنجاد العاضد بنور الدين زنكي لصد خطر الصليبيين ، ونجح القائد الزنكي شيركوه في اقصاء شاور السعدي وتولى الوزارة مكانه(١) ٠

وتجدر الاشارة إلى ان من اهم الاحداث التي وقعت آنذاك أحراق شاور مدينة الفسطاط خوفاً من استيلاء الفرنج عليها وكانت احدى الرزايا التي لحقت مصر وذلك في صفر سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ٠

يقول ابن الاثير (وأمر شاور بإحراق مدينة مصر(الفسطاط)تاسع صفر ٥٦٤هـ وأمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة، وأن ينهب البلد، فانتقلوا وبقوا على الطرق، ونهبت المدينة وافتقر أهلها، وذهبت أموالهم ونعمتهم، قبل نزول الفرنج عليهم بيوم خوفاً أن يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً)(٢) اعقب شيركوه بعد وفاته في الوزارة لدى العاضد صلاح الدين يوسف بن أيوب الذي عمل على إضعاف الخلافة الفاطمية في مصر واعادتها إلى حظيرة السنة ، فولى أعمال الدولة إلى من لمس فيهم الولاء له وعمل على إقصاء المناوئين، ثم استقدم أهله وإخوته من الشام وواجه في حكمه عدد من التحديات سواء من قبل أنصار الفاطميين أو خطر الصليبيين ، وكانت وفاةالخليفة الفاطمي في ١٠محرم ٥٦٧هـ/١١٧١م خاتمة الدولة الفاطمية وكان صلاح الدين قدقطع قبل وفاته

(١) انظر المقريزي المواعظ والاعتبار ، ج١ / ٣٤٩ وما بعدها - علي ابراهيم حسن- مصر في العصور الوسطى / ١١٣ وما بعدها ٠

(٢) الكامل . ج٩ / ٩٩.

الخطبة للعاضد وأقامها للخليفة العباسي المستضيء وبالتالي انضوت مصر تحت السيادة الزنكية ، وقدبذل صلاح الدين جهوداً ضخمة في سبيل استقرار الأحوال في مصر وضرب خصومه وخاصة أنصار الدولة الفاطمية البائدة فأخمد حركة مؤتمن الخلافة نجاح وكان أحد قادة الفاطميين كما ضرب محاولة الشاعر عمارة اليمني للثورة عليه وكذلك ثورة السودان في أسوان(١).

تمكن صلاح الدين بعد استقرار حكمه في مصر من توحيد الجبهة المصرية مع الجبهة الشامية ضد الصليبيين عقب وفاة نور الدين وكان ذلك منطلقاً نحو تحرير القدس من براثن الصليبيين واستمرصلاح الدين في جهاده حتى وفاته ٥٨٧هـ/١١٩١م فخلفه على مصر ابنه العزيز ٥٨٩هـ - ٥٩٥هـ/ ١١٩٣م -١١٩٨م) وعلى بقية الأقطار ابناؤه واخوته ودب النزاع بين الإخوة وكان العادل أخو صلاح الدين يراقب الأوضاع ويتحين الفرصة للوصول إلى السلطة ، وتم له ذلك بعد وفاة العزيزوخلع ابنه الصغير المنصور فدانت الدولة الأيوبية تقريباً للعادل سيف الدين ٥٩٦هـ -٦١٥هـ/ ١٢٠٠-١٢١٨م)(٢).

ب- الحياة العلمية :

شهدت مصر على عهدي الفاطميين والايوبيين نهضة علمية زاهرة وكان للخلفاء الفاطميين وسلاطين الايوبيين من بعدهم مساهمة كبيرة في ازدهار العلم ويعتبر انشاء جامع الأزهر خطوة مهمة نحو النشاط العلمي والمعرفي .

كما أن الفاطميين اسسوا عدداً من دور العلم وفي مقدمتها دار الحكمة التي انشأها الحاكم بأمر الله ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م ، وحشد لها طائفة من أهل العلم لخدمة مرتاديها من طلبة العلم والحق بها مكتبة ضخمة وجهزها بكل ما يحتاج إليه الباحثون من اقلام ومحابر وأوراق وخلافه . كما أنشأ الفاطميون المدرسة الحافظية بالاسكندرية وأنشأو بها ايضاً مدرسة أخرى للشافعية سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م (٣) .

وعلى عهد الفاطميين برز عدد كبير من العلماء في كافة حقول المعرفة وسوف

---

(١) انظر ابن الأثير : الكامل ج ١٢٣/٩ وعلى إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى،/١٧٢ وما بعدها .

(٢) على إبراهيم حسن : المرجع السابق ١٧٦ومابعدها .

(٣) أحمد أحمد بدوي . الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام / ٢٧-٢٨ وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقصر الحديث على الفترة التي عاصرها ابن جميع اي القرن السادس الهجري تقريباً ، فقد شهد هذا القرن حركة علمية مزدهرة في كافة حقول المعرفة ونكتفي في هذا الجانب بالاشارة إلى البارزين في علوم الأوائل ومنها الطب ، فقد نبغ فيه سلامة بن رحمون إلى جانب مهارته في المنطق والفلك ، وقد ذكره أبو الصلت أميه بن عبد العزيز واشار إلى لقائه معه(١) .

كما نبغ في الطب والفلك الطبيب موفق الدين ابو نصر بن العين زربي وكان ببغداد ثم رحل عنها إلى مصر ونال مكانة كبيرة لدى الخلفاء الفاطميين وصنف عدداً من المؤلفات في الطب والمنطق والسياسة ، (ت ٥٤٨ / ١١٥٣م)(٢) .

وكان للطبيب المذكور عدد كبير من التلاميذ من انجبهم الطبيب بلمظفر بن معروف وكان من البارزين في علوم الطب والكيمياء والفلك ، وصنف فيها بعض المؤلفات(٣) ، وممن خدم الخلفاء الفاطميين بالطب الشيخ السديد ابو المنصور عبدا لله ، وقد لازم الخدمة في البلاط الفاطمي حتى زوال الفاطميين ، وكانت وفاته سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م(٤) .

فإذا تجاوزنا العصر الفاطمي إلى العصر الايوبي لمسنا مدى ما أسداه السلطان المجاهد صلاح الدين الايوبي من مآثر خالدة للعلم والمعرفة وقد عمد في مستهل عهده في مصر إلى بناء المدارس ، ويذكر عبد الرحمن زكي أن السلطان صلاح الدين واسرته قاموا ببناء سبع مدارس لتدريس الحديث وعلومه(٥) .

وكان بلاط السلطان صلاح الدين يضم كثيراً من أهل العلم والمعرفة وقد عرف عنه تشجيع العلم وتقريب العلماء ولسنا بصدد احصاء كل العلماء الذين برزوا في حقول المعرفة ، ولكن نلمح إلى البعض منهم في علم الطب ، فيأتي في مقدمتهم هبة ا لله بن جميع الطبيب الذي نقدم كتابه ، ومن البارزين ايضا الشيخ السديد الذي اشرنا إليه سالفاً والطبيب ابو البيان المدور والموفق بن شوعة وكل هؤلاء خدموا بالطب السلطان صلاح الدين الايوبي(٦) وهناك عدد كبير سواهم ممن خدم في البلاط الايوبي(٧) .

---

(١) الرسالة المصرية . تحقيق عبد السلام هارون / ٣٥ منشورة ضمن نوادر المخطوطات ، ج١ ، ١١-٥٦ .

(٢) ابن ابي اصيبعة . عيون الانباء / ٥٧٠ .

(٣) ابن ابي اصيبعة ، نفس المصدر / ٥٧١ .

(٤) ابن ابي اصيبعة . المصدر السابق / ٥٧٢ وما بعدها .

(٥) القاهرة منارة الحضارة الإسلامية . / ٣٨ .

(٦) انظر ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء / ٥٧٢ وص٥٧٩ وما بعدها .

(٧) للتوسع في معرفة الاطباء . الذين خدموا في بلاط السلطان صلاح الدين وابنائه ينظر عيون الانباء / ٥٨٢ وما بعدها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى عهد السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الذي حكم مصر شهد البلاط الايوبي عدد كبير من العلماء ويأتي في مقدمتهم العلامة جمال الدين بن
وعلى عهد السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الذي حكم مصر شهد البلاط الايوبي عدد كبير من العلماء ويأتي في مقدمتهم العلامة جمال الدين بن
ابي الحوافر الذي تولى رئاسة الطب في القاهرة ، وقد وصفه ابن ابي اصيبعه "بافضل الاطباء وسيد العلماء"(١) •

تكوينه العلمي :

أشرنا سابقاً إلى أن ابن جميع ولد في مدينة الفسطاط ، وبها نشأ ، ومن الطبيعي أن يكون بدء تحصيله وتكوينه العلمي بها ، ولم تكن مدينة الفسطاط آنذاك أقل شأناً من غيرها من مراكز العلم والحضارة ، فقد كانت مدينة عامرة مزدهرة في كافة حقول النشاط الإنساني ، وقد وصفها الرحالون بالسعة في كثرة العمران وازدحام السكان والنشاط التجاري الواسع ، وظلت على هذا الحال من الازدهار الحضاري حتى سنة ٥٦٣هـ / ١١٦٨م ، عندما اضطر الفاطميون إلى إحراقها لكي لاتسقط في أيدى الصليبيين ، ويتخذونها قاعدة لهم (٢).

لم يكتف ابن جميع بماحصله من علم ومعرفة في مدينته الفسطاط ، بل رمى ببصره إلى حاضرة الفاطميين ، وهي مدينة القاهرة ، فسار إليها ،وقصد أطباءها ، والتقى بعلمائها ، ينهل منهم العلوم والمعارف ، وكان في مقدمة شيوخه : الطبيب الموفق أبي نصر عدنان بن العين زربي فلزمه مدة ، فأفاد منه ، وأمّ غيره من الأطباء والعلماء ، ومن المؤسف أن المصادر لم تكن سخية في توضيح أسماء أولئك العلماء والأطباء ، وعلى أية حال فإنّ ابن جميع عندما أكمل تحصيله العلمي وآنس من نفسه النضج العلمي أخذ في ممارسة الطب ، ومعالجة المرضى ، فأظهر قدرة كبيرة ومعرفة جيدة بطرق العلاج ، فعاد إلى مدينة الفسطاط ، حيث اتخذ له موضعاً في سوق القناديل يستقبل فيه المرضى ويعالجهم .(٣)

ويستفاد من الاطلاع على بعض رسائله الطبية، كرسالته التي بين أيدينا ورسالته المسماة: (المقالة الصلاحية) وسواهما من رسائله أن ابن جميع عكف إبان تحصيله العلمي على قراءة كتب الأوائل في الطب ، كابقراط وجالينوس ، ويدعو

---

(١) عيون الانباء / ٥٨٤-٥٨٥ ، ولمعلومات موسعة عن حال الحياة العلمية في العصر الايوبي ينظر احمد احمد بدوي ، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام •

(٢) أنظر علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني / ٤١٤ومابعدها .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ٥٧٦-٥٧٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بإخلاص الطلبة وكل من يريد دراسة الطب أن يعكف على دراسة كتب أولئك الأطباء، وينعي على من اكتفى بدراسة سواها من الكتب ، إذ هي العمدة في معرفة الطب وفهمه والمهارة فيه ، ولكي يوضح مكانة ابقراط وجالينوس فقال : (إن منزلة ابقراط منزلة فلاح بذر بذراً ولم يعن به . ومنزلة جالينوس منزلة من عنى بذلك البذر وقام بأمره إلى أن أنبت وأينع وأثمر وصارت ثمرته معرضة لأن تجتنى من غير مشقة)[١] وفي حديثه عن تعلم الطب وماينبغي على دراسه، أخذ على أولئك الأطباء الذين ألفوا في الطب كتباً دعوها بالكامل في الصناعة الطبية، أو الكافي أو المغني ، وهي ليست كذلك ، إذ أن القاعدة التي ينبغي التزامها العودة إلى كتب الأوائل واعتبارها المصدر والمنبع الحقيقي لتعلم الطب[٢]،وما من شك أن في ذلك مبالغة واضحة ، وقد سبقه إلى هذا التوجه الطبيب علي بن رضوان ، الذي بالغ واشتط في تقدير كتب أبقراط وجالينوس ، ورأى أن الاشتغال بالنظر في كتب الطب يغني عن الدراسة على أيدي العلماء[٣] .

وعلى الرغم من إعجابه الشديد وشغفه بمؤلفات أبقراط وجالينوس وكتب الأوائل بصورة عامة إلا أن ابن جميع كان له اطلاع واسع ومعرفة عميقة بمصنفات من سبقه من أطباء المسلمين وخاصة ابن سينا، والرازي ، وإسحاق بن عمران ، وابن رضوان ، والزهراوي ، وابن سفيان الأندلسي ، وبوجه عام أعلام الطب المسلمين حتى عصره ، ويتضح ذلك لمن تصفح آثاره العلمية كرسالته التي بين أيدينا وسواها من رسائله التي لايزال معظمها مخطوطاً .

وكان حريصاً في حديثه وتلقيه العلم ومخاطبته أهله على الالتزام بقواعد اللغة العربية والسعي إلى إجادتها وإتقانها بعيداً عن غريب الألفاظ وما يلتبس معناها، يدل على ذلك أنه كان لايقرأ إلا وكتاب [الصحاح] للجوهري حاضر بين يديه، ولاتمر به كلمة غريبة إلا ويكشفها منه[٤] وفي ذلك دلالة على مدى ما أولاه من عناية واهتمام لمصادر تكوينه العلمي والثقافي ، والذي بلاشك أثمر ثمرة يانعة لانملك إلا الإعجاب بها من خلال مصنفاته وآثاره التي تدل على ذلك وتنطق به .

---

(١) رسالة إلى القاضي المكين أبي القاسم علي بن الحسين فيما يعتمد حيث لايجد طبيبا ورقة ١١٠ب .
(٢) أنظر المقالة الصلاحية ، ورقة ٢٢١أ ، ورقة ٢٢٣ ب .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء / ٥٦٢-٥٦٣.
(٤) ابن أبي أصيبعة : نفس المصدر / ٥٧٦.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شخصيته العلمية :

وصفه ابن أبي أصيبعة فقال : (من الأطباء المشهورين . والعلماء المذكورين ، والأكابر المتعينين ، وكان متفنناً في العلوم ، جيد المعرفة بها . كثير الاجتهاد في صناعة الطب ، حسن المعالجة، جيد التصنيف)(١)

وكان ابن جميع دقيق النظر ، بارع الفهم فيما ينبغي أن يكون عليه الطبيب من معرفة واسعة ليس بالطب وحده وإنما بعلوم شتى ، ومنها : الفلسفة ، والطبيعة ، والفلك والرياضيات ، والمنطق وذلك لأن تعلمها يتيح للطبيب التدبر والتفكير الشامل بما حوله ، إضافة إلى حرص ابن جميع على معرفة طبيعة البيئة الجغرافية التي تنتشر فيها الأمراض والعلل فهو يبدي اهتماماً واسعاً بكل ماله صلة بها ويعين على حدوثها كالموقع والمناخ وعادات السكان وماهم عليه من ضروب السلوك وأحوال المعاش(٢) ، وهي أمور تدل دلالة واضحة على ماكان يتمتع به ابن جميع من حس علمي عميق، وإدراك دقيق لأسرار هذا العلم ومايبنغي على دارسي وممارسي هذه المهنة الإنسانية من صفات علمية وآداب متميزة .

وابن جميع يعطي جانب المشاهدة والحس اهتماماً كبيراً فلايكتفي بالدراسة النظرية أو الأخذ بأقوال من سبقه من الأطباء بل يعرض الأمر على محك التجربة والمعاينة، فعندما تعرض للأمراض والعلل التي تصيب أهل الاسكندرية ومنها الجذام أورد نصاً لجالينوس عن الأسباب المؤدية إلى ذلك المرض ثم لم يقتنع بذلك ، فقد حرص على معاينة أهل الاسكندرية بنفسه ، وكشف حقيقة تلك العلة ، فيقول : (ولما وصلت إليها – الاسكندرية – وخبرت حالها وحال أهلها بنفسي ،وجدت بها من أصحاب هذه العلة خلقاً كثيراً ، ثم اتفق لي أن اذكرت ذلك لأحد من كنت أسائله فينكره بما كان يدعيه عن ذلك ودللته على جماعة من أصحاب هذه العلة فأجابني : إن هؤلاء الذين تذكر أنت إنهم مجذومون ليسوا عندنا بالمجذومين وإنما نقول نحن أن بهم سوداء ، فاما المجذومون عندنا فهو من تقطعت أطرافه ، فعرفته أن تحسين الأسماء ليس ممانريد بل

(١) عيون الأنباء / ٥٧٦، وانظر ايضاً مؤلف مجهول : انسان العيون /٢٤٧.

(٢) أنظر مقدمة رسالته في طبع الاسكندرية وكذلك رسالته المسماه : المقالة الصلاحية . ورقة ٢٢٢أ و ٢٢٢ب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اختصاصهم بهذا الداء، وأوقفته على أن الجذام أصناف وله مراتب وحالات)[1] .

وتتجلى ملاحظاته الدقيقة وحسه الطبي المرهف في تتبعه وملاحظته لعادات أهل الاسكندرية، فيشير إلى كثرة نصبهم وتعبهم في سبيل العيش والسفر من أجل طلب الرزق في البر والبحر ، وتغربهم في سبيل ذلك عن الأهل والولد ، وأن في ذلك مما يضعف الأبدان لما يعرض لها من تواتر الكلال ، وعدم الاسترجاع ،واختلاف الأهوية والمياه والأغذية عليها، وتهيؤها لسرعة الوقوع في الأمراض ، وهم قليلو النوم كثيرو السهر) ويشير إلى أن كثرة السهر مما يفسد الهضوم ، ويكثر اجتماع الفضول ، ويضعف القوى النفسانية ، ويخمد الحرارة الغريزية[2]

وعندما يتعرض ابن جميع إلى صفة الماء الذى يشربه أهل الاسكندرية يفيض في شرح ذلك إفاضة العالم الفطن والعارف المستقصي الذي يبحث ويدقق ويحلل لكي يصل إلى حقائق الأشياء ومسببات العلل والأدواء ،فيشير في جانب من أسباب رداءة المياه وفسادها إلى إهمال السكان في بناء صهاريج المياه، وعدم إحكامهم بناءها بل يعتمدون في ذلك الجير والرمل والآجر المطحون على التراب والحشيش ، فيتأثر البناء بأشعة الشمس وهبوب الرياح ونزول الأمطار، فيأخذ في التفتت وتنحتّ عنه حبات الرمل والتراب، وتختلط بالماء ، ويتولد إثر ذلك على سطحه الطحالب والعفن وهى سبب رئيسي في حدوث كثير من العلل كالحصى والقروح في المثانة وعسرالبول وحرقته[3].

ومما يدل على ذكاء الطبيب ابن جميع وصدق حدسه وبراعته في معرفة العلل وطبائعها مارواه ابن أبي أصيبعة نقلاً عن بعض المصريين أن ابن جميع كان يوماً جالساً في دكانه بالفسطاط ، فمرت عليه جنازة فلما نظرها صاح بأهل الميت أن يقفوا وذكر لهم أن صاحبهم لم يمت ، وإن هم دفنوه فسيدفنوه حياً ، فبهت أهل الميت وعجبوا لقوله ، وبعد مداولة بينهم رأوا أن يعالج صاحبهم إن صح قوله فذهبوا به إلى المنزل وخلعوا عنه أكفانه فغسله ابن جميع بالماء الحار وعالجه ببعض العلاجات التي اسخنت جسده ثم غطسه في المياه ، فإذا به يتحرك ببطء فبشرهم بعافيته ، وأخذ في علاجه حتى أفاق، ويشير البعض ممن رأى وسمع

(١) طبع الاسكندرية ورقة ١٩٢ب وورقة ١٩٣أ .
(٢) طبع الاسكندرية ورقة ١٨٥ب و١٨٦أ.
(٣) طبع الاسكندرية ورقة ١٧٧أ و١٧٧ب ومابعدها . وسوف نعرض لكثير من المسائل الطبية التي عالجها ابن جميع في رسالته اثناء الحديث عن أهمية الكتاب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحادثة إلى أن هذا أول اشتهار ابن جميع ونبوغه في الطب ، وأنه سئل بعد ذلك: كيف علم أن ذلك الرجل لم يمت عندما مرت به الجنازة؟ (فقال : إني نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين ، وأقدام الذين قد ماتوا منبسطة ، فحدست أنه حي ، وكان حدسي صائباً)(١).

ومما له دلالة على عمق النظر ودقة التفكير والسعي الدؤوب نحو تحصيل المعرفة والكشف عن دقائقها ماكتبه عن بعض المسائل الطبية الدقيقة ، كرسالته عن (السقنقور) وهو حسب تعريف ابن جميع (حيوان شديد الشبه بالورل ، يوجد في الرمال التي تلي نيل مصر وأكثر ذلك في نواحي صعيدها ، وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء ..)(٢)

يتحدث ابن جميع عن هذا الحيوان بصورة علمية تلفت النظر وتثير الاعجاب بعلمه وكدحه في سبيل الوصول إلى حقائق الأشياء وخواصها وصلتها بالعلاج الطبي إذ أن الغاية من حديثه عن ذلك الحيوان ، منافعه الطبية ، ومايستفاد من لحمه في علاج عدد من الأمراض والعلل وخاصة لمن غلب على مزاجه البرد والرطوبة ، وفائدته لكبار السن والقاطنين في البلاد الباردة (٣)

وأظهر ابن جميع براعتة الطبية في حديثه عن بعض التشوهات التي تلحق جسم الإنسان كداء (الحدبة) التي هي مظهر للتشوه الذي يلحق العمود الفقري،وأظهر معرفة جيدة في الحديث عن هذا المرض وأقسامه وعلله وأسبابه ودلائله. ثم عرض لمعالجاته وتجلت براعته ومهارته عند الحديث عن معالجة الحدب القريب العهد ، فقد وضع لعلاجه طرقاً مختلفة تقوم على وصف حركات وعمليات من الشد والربط والتمدد على جسم صلب يقوم بتنفيذها الطبيب للمريض في صورة مشابهة للعلاج الطبيعي الذي نشاهده في مستشفياتنا في العصر الحاضر(٤)

وظاهرة المعرفة الواسعة ودقة النظر والتفكير الشامل نلاحظها في شخصية ابن جميع إذا ماتصحفنا آثاره وإنتاجه العلمي المتنوع ، فيبدو هذا جلياً إلى جانب رسالته التى بين أيدينا وماذكرناه سابقاً يبدو في بقية مؤلفاته ، ومنها

(١) عيون الانباء . / ٥٧٧ ,
(٢) رسالة فى السقنقور ورقة ٢أ .
(٣) رسالة في السقنقور ورقة ٩أ .
(٤) أنظر تفصيل ذلك في رسالته (الاستبصار في زوال الفقار) ورقة ٢٥ب و٢٦أ و٢٦ب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسالته عن نبات الراوند [١] فمن الدلائل على عمق نظره ودقة معرفته ذلك الوصف الدقيق لأصناف الراوند وبراعته في الكشف عن وجوه الغش التي يمارسها العطارون، وكذلك رسالته عن الليمون ومنافعه فقد بسط القول فيهما بصورة تؤكد علمه وثقافته الواسعة ودقة نظره في تناول دقائقها وخواصها وفوائدها الطبية[٢]

وقد أورثه هذا العلم الواسع والمعرفة الشاملة بالطب والنباتات والأغذية الطبية شخصية علمية متميزة، ونظراً صائباً، ونقداً علمياً سليماً ، فعلى الرغم من تقديره البالغ لأطباء اليونان ومنهم جالينوس إلا أن هذا لم يمنعه أن يتتبع بعض أعماله بالنقد وخاصة فيما يتصل بحديثه عن النبض الخاص بحميات العفن فلم يستوف القول في ذلك ،كما أنه لم يلتزم القانون أو القاعدة الطبية المعمول بها في الطب في حديثه عن تدبير غذاء أصحاب الحميات[٣] .

ومما أكد عليه ابن جميع وما أوصى به المشتغلين بالعلم عامة والطب خاصة أهمية الاجتهاد وبذل أقصى غاية الجهد في التعلم وتحصيل المعرفة واستدراك ماغفل عنه الأوائل وماكان مجهولاً لديهم ، وتهذيب مالم يهذبه السابقون . (بزيادة البحث في التنقير وطلب الزيادة ولوبالأمر اليسير الحقير ، كيف يُبخس حظ المحدثين أوينكر فضل المتأخرين) ويضرب أمثلة مماتوصل إليه الأطباء المحدثون مماكان مجهولاً لدى الأوائل كالحشيشة المخلصة من سم الافاعي والعقارب ، وشراب الكندر الهندي الذي يعطي مناعة ضد الأوبئة والحصبة والجدري ، وهو في هذا الجانب يعطي الثقة لتلاميذه ومعاصريه من الأطباء في أن لديهم القدرة والاستطاعة على تقديم الجديد والمساهمة في تطور علم الطب، شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من الأطباء ، ويعطي ابن جميع تفسيراً لولع الناس بكتب القدماء والأوائل ونفورهم من تأليف المعاصرين لهم بقوله: (وإنما غلط كثير من الناس في أمرهم أن الحاضر أبداً محسود مذموم والغابر مغتبط مرحوم:

ولع الناس بامتداح القديم — وبذم الجديد غير الذميم
ليس إلا لأنهم حسدوا الحي — فحنوا على العظام الرميم [٤]

---

(١) أنظر رسالة في الراوند ، ورقة ٤٦ب ومابعدها .

(٢) مقالة في الليمو ورقة ١١٥أ ومابعدها .

(٣) رسالة إلى القاضي المكين فيما يعتمد حيث لايجد طبيباً ورقة ١١٠ب .

(٤) أنظر رسالة الليمو : ورقة ١١٥ب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبـــرز شيوخـــه :

سبق أن أوضحنا أن ابن جميع ولد ونشأ بالفسطاط ، وما من شـك أنـه تلقى علومه الأولية بتلك المدينة ، ثم شد رحاله إلى عاصمـة الفـاطميين آنـذاك وهـي مدينة القاهرة ، حيث كانت من مراكـز الحضـارة والعلـم في الدولـة الإسـلامية وكان يفد إليها أهل العلم وتمر بها القوافل الذاهبة شرقاً وغرباً للتجـارة والحـج والعلم . وكان من بين من وفد إليها من العلماء الطبيـب العراقـي البـارز موفـق الدين أبو نصر عدنان بن نصربن منصور العين زربـي[١]، الـذي حظـي بمنزلـة رفيعة في البلاط الفاطمي ، وكان لمنزلته العلميـة وعلـو كعبـه في الطـب أثـر في توافد طلبة العلم عليه واشتغالهم بدراسة الطب على يديه ، وكان من بين هؤلاء التلاميد هبة ا لله بن جميع الذي نـال علـى يـده علمـاً واسـعاً وبراعـة في صناعـة الطب[٢].

ومن شيوخ ابن جميع الطبيـب أبـو الحسـن علـي بـن سـليمان المعـروف بـابن البواب وقد أشار إليه ابن جميع في مقدمة رسـالته الـتي بـين أيدينـا إذ يقـول عـن الرسالة (وجعلتها مشـتملة علـى ماسـنح ممارويتـه عـن شـيخنا الأجـل الفـاضل الخطير أبي الحسن علي بن سليمان المعروف بأبن البواب...)[٣]

ويبدو أن هذا الطبيب هو والد الطبيب أبوالمنصور شرف الديـن عبـدا لله بـن الشيخ أبي الحسن علي. وقد ذكرا بن أبي أصيبعة أن أباالحسـن علـي كـان مـن الأطباء البارزين في بلاط الخلافة الفاطمية ، وخدم بالطب من خلفـائهم : الآمـر بأحكام ا لله (٤٩٥هـ -٥٢٤ =١١٠١-١١٣٠) وهو الذي قدم ابنه عبدا لله للخليفة الآمر ليخدمه بالطب فعلت منزلته لديه[٤] .

أبـــرز تــلاميـذه :

من أبرز تلاميذه الذين أخذوا العلم على يديه ، واشتغلوا بدراسة الطب عليـه الطبيب سديد الدين ، أبو الفضل داوود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفـرج ، طبيـب عصـره . وشـهد لـه بذلـك ابـن أبـــي أصيبعـــة الـــذي عمـــل معـــه في

---

(١) نسبة إلى عين زربة ، بلد بالثغور الشامية من نواحـي المصيصة (يـاقوت ، معجـم البلدان ج٤/١٧٧)

(٢) ابن أبي أصيبعة . المصدر السابق / ٥٧٠- الصفدي ، الوافي بالوفيات ، حـرف الهاء .

(٣) طبع الاسكندرية . ورقة ٢أ .

(٤) عيون الانباء / ٥٧٢ .

البيمارستان(١) الناصري (٢) بالقاهــــرة ،ووصفه بالمهارة والتحقيق والبراعة في تركيب الأدوية ومعرفتها ، وعمر طويلاً فعاش أكثر من ثمانين سنة وكان مولده سنة ٥٥٦هـ / ١١٦٠م .(٣)

ومن تلاميذه يوسف بن هبة ا لله بن مسلم الذي تلقى على يديه العلم ودرس عليه الطب ، فأفاد منه ، ولما توفي ابن جميع رثاه يوسف بن هبة ا لله بقصيدة يستدل منها على ماذهبنا إليه من تتلمذ يوسف على يد ابن جميع فيقول من أبيات كثيرة تشير إلى ذلك :

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجمي ... وإن نفذت منك الدموع فبالدم
فحق بأن تذرفي على فقد سـيد ... فقدنا به في مشكل القول مبهم
فقبحاً لدهر ردنا بعد فقده ... حيارى بلاهاد حليف التيتم
ووا لله ماوفيت واجب حقه ... ولو أن جسمي كل عين بمرزم
وقد كنت أهديه الثناء مبجلاً ... فها أنا أهديه الرثاء جهد معدم(٤)

ويبدو أن ابن جميع كان له تلاميذ كثيرون ، وإن لم تسعفنا المصادر بذكر أسمائهم الا أن هناك أيضاً مايدل دلالة قاطعة على تردد طلبة العلم والمشتغلين بالطب على مجلس ابن جميع إذ يقول ابن أبي أصيبعة : (كان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب)(٥)

مكانته العلمية :

لاريب أن ابن جميع بعد أن أفضنا في الحديث عن جوانب سيرته أن يتبوأ منزلة عالية، ومكانة سامية تليق بجلال قدره وسعة علمه ، ومما له دلالة في ذلك أن السلطان الأيوبي صلاح الدين قربه ، وأعلى قدره في بلاطه ، فكان ذا منزلة رفيعة ، وكلمة نافذة ، ومن الأطباء الذين حظوا بثقة السلطان واعتمد عليهم

---

(١) البيمارستان هو : موضع علاج المرضى . وهي كلمة فارسية ، انظر ، (احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام /٤).

(٢) البيمارستان الناصري نسبة إلى السلطان الناصر صلاح الدين الايوبي الذي أنشأه في قصر الخلافة الفاطمية بعد زوالها وكان موضعه في القصر قاعة بناها العزيزبا لله سنة ٣٨٤هـ فجعلها صلاح الدين بيمارستاناً لعلاج المرضى أنظر بالتفصيل عن هذا المستشفى أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام / ٧٦ ومابعدها .

(٣) عيون الانباء / ٥٨٤ .

(٤) أنظر ابن أبي أصيبعة :عيون الانباء / ٥٧٨– ٥٧٩ .

(٥) عيون الانباء / ٥٧٦ .

في التطبيب والمعالجة ، بل إن صلاح الدين أوعز إليه بتصنيف بعض الرسائل الطبية ، ومنها "المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية" ، ففي مقدمتها أشار إلى أن السلطان صلاح الدين رغب منه في تأليف هذه الرسالة ، سعياً إلى إحياء الصناعة الطبية بعد أن اكتنفها الضعف وغلب عليها الجهل (١) .

وإلى جانب ماتقدم فقد ركّب ابن جميع للسلطان صلاح الدين الترياق الكبير الفاروق(٢)، وربما يكون هذا العلاج المركب هو المقصود بالوصف في رسالته المسماه (صفة معجون ملوكي)(٣) .

وقد أثنى ابن أبي أصيبعة على ابن جميع ، فعده من الأطباء المشهورين،والعلماء المذكورين ومن ذوي التفنن في العلوم ، والمجتهدين في صناعة الطب المحسنين في ممارسته والمجيدين في التأليف فيه ، وأيد كلامه بالنظر في مصنفاته وآثاره الطبية (٤)

ولم يكن ابن أبي أصيبعة وحده ممن أعجب بعلمه ومكانته في الطب ، بل شاركه في ذلك معاصروه من أهل السياسة والعلم ، فقد أورد ابن أبي أصيبعة حديثاً دار بينه وبين الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح وزيرالملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر والشام (٦٣٧ -٦٤٧هـ / ١٢٤٠م- ١٢٤٩م) إذ قال ابن مطروح مخاطباً ابن أبي أصيبعة : "ماسبقك إلى تأليف كتابك في طبقات الأطباء أحد ، ثم قال لي : وذكرت أصحابنا الأطباء المصريين؟ ، فقلت له : نعم فقال : وكأني بك قد أشرت إلى أن مافي الأطباء ،المتقدمين منهم مثل ابن رضوان ، وفي المتأخرين مثل ابن جميع ، فقلت له : صحيح يامولانا"(٥)

(١) أنظر المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية ورقة ٢٠٧ أ .

(٢) الترياق مشتق من تيريون باليونانية وهو اسم لماينهش من الحيوانات كالأفاعي ونحوها ويقال له بالعربية أيضاً الدرياق ، ترياق الافاعي هو الترياق الفاروق : ترياق الأربعة سمي بذلك لأنه من أربعة اخلاط جنطيانا وحب الفار وزراوند طويل ومر (الخوارزمي : مفاتيح العلوم / ١٠٣-١٠٤) .

(٣) فهرس مخطوطات الطب الاسلامي / ٣٥ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق / ٧٦.

(٥) عيون الانباء / ٥٧٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد فجع تلاميذه بوفاته فرثوه ، وبكوا علمه ومعارفه الواسعة في الطب،وخسارتهم ذلك بفقدانه ، وممن رثاه : يوسف بن هبة الله بن مسلم الذي وصفه بغزارة العلم وجلالة القدر وعلو الدرجة ، ومن ذلك :

وأفضل أهل العصر علماً وسؤدداً ... وأفضلهم في مشكل القول مبهم
وأهدى إلى الداء الخفي بعلمه ... إذا حال بين اللحم والعظم والدم
وارفع بيتاً في القبيل مكارماً ... كما لاح بدر التم مابين أنجم
فلا تعذلوني إن بكيت تأسفاً ... فقدر عظيم الحزن قدر المعظم
...... الخ(١)

وأخيراً فمن دلائل مكانته وعلو كعبه في الطب أنا نلاحظ أن عدداً من مؤلفاته وآثاره في الطب صنفها نزولاً على رغبة سلطان أو أمير أوقاض أو صديق من الاصدقاء ، وفيه اعتراف عميق بفضله ، وسعة علمه ، وثقة الناس فيه على اختلاف طبقاتهم ، وسوف يلاحظ ذلك من يطلع على قائمة مؤلفاته وآثاره وتصانيفه ولعل أشهر من ألف لهم : السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبي فكتابه (المقالةالصلاحية) باسم صلاح الدين الأيوبي ، والرسالة السيفيه باسم الأمير سيف الإسلام الأيوبي . ورسالته لمن لايحضره الطبيب لأحد قضاة العصر . وهذه الرسالة التى عملنا على تحقيقها ألفها لأحد أصحابه من أهل الإسكندرية إلى آخر مايدل على صحة ماذهبنا إليه من علو مكانة ابن جميع ، وشهرته العلمية ، وما أولاه الناس من ثقتهم بعد أن لمسوا فيه صفات العالم المتمكن والطبيب الحاذق .

آثاره العلمية :

ألف ابن جميع في الطب عدداً من الكتب والرسائل وهي كالتالي :

١ – "الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد" ، في أربع مقالات . ومنها نسخ مخطوطة في بعض دورالمخطوطات بتركيا مثل نور عثمانية رقم ٣٤٩١/٢ قطعة من ٥١ أ إلى٩٨ب وولى الدين افندي رقم٢٤٦٦في٢٠٠ورقة .

(١) عيون الانباء / ٥٧٧.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢- "التصريح بالمكنون في تنقيح القانون" منها نسخة في نور عثمانية رقم ٣٥٢٦.

٣ - "الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية " (في علاج القولنج ألفها لسيف الاسلام ظهير الدين شهاب منها نسخة في أحمد الثالث رقم ٢/٢١٣٦ .

٤ - "رسالة في منافع الليمون" منها نسخة في أحمد الثالث رقم ٢١٣٦/ب

٥- "صفة معجون ملوكي" منها نسخة في حوروم رقم ٢٩٥٥/ ب .

٦ - "المذهب من المجرب منها نسخة باليكسير" طورسون بك رقم ٧٨ .

٧ - "مقالة في أصناف الروائد" ألفها لاحد أصحابه عند اقامته في الاسكندرية منها نسخة في أحمد الثالث رقم ٤/٢١٣٦ .

٨- "رسالة إلى القاضي المكين ابي القاسم علي بن الحسين فيما يعتمده حيث لايجد طبيباً" منها نسخة في أحمد الثالث رقم ٢١٣٦/ ٥ .

٩ - "مقالة في الدوار" منها نسخة في أحمد الثالث رقم ٢١٣٦/ ب .

١٠- "المقالة الصلاحية في إحياء الصناعة الطبية" الفها للسلطان صلاح الدين الايوبي منها نسخة في أحمد الثالث رقم ٢١٣٦ / ٩ .

١١ - "مقالة في الاستبصار في زوال الفقار" ألفها لاحد الأعيان الذين أرادوا الاطلاع على أسباب حدوث الحدبة منها نسخة لدى أحمد الثالث رقم ٢١٣٦/ ٣ .

١٢ - "مقالةفي ماهيةالسقنقور" (حيوان يشبه الورل)منها نسخة لدى احمد الثالث رقم ٢١٣٦/ ١ .

١٣ - "رسالة في طبع الاسكندرية وحال هوائها ونحو ذلك من أحوالها" ألّفها لأحد أصحابه ممن رغب في شرح حال تلك المدينة وما يعتري أهلها من العلل وأسباب ذلك وهي الرسالة التي قمنا على تحقيقها (*)

(*) للاستزادة حول مصنفاته وآثاره أنظر ابن أبي أصيبعة عيون الانباء ٥٧٩ ، مؤلف مجهول : انسان العيون / ٢٤٨، وكذلك فهرس مخطوطات الطب الاسلامي في مكتبات تركيا / ٣٢ ومابعدها .